13 me Année No. 621

Lundi - 28 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٢٨ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الأسرة والمجتمع

للأستاذ عباس محمود العقاد

كل ما يفصله الأستاذ على عبد الواحد فى كتابه عن « الأسرة والمجتمع » ، أو فى مقالاته بالرسالة يصلح لتقرير حقيقة واحدة ، وهى أن للمجتمع وآدابه شأناً فى نظام الأسرة على اختلاف الأزمان والبيئات

وهى حقيقة لا حاجة بها إلى كثرة الأدلة والأسانيد ، لأن المجتمع قائم وقوانينه وعاداته قائمة كذلك ، وليس فى وسع أحد أن ينكرها أو ينكر أثرها فى معيشة الأسرة ولا فى معيشة الفرد حيث كان

إن الأسرة تتأثر بالمجتمع وعاداته وقوانينه ، وهذا أمر بيّن بالبداهة كما هو بيّن بالمشاهدة العلمية ، فلا ينكره أحد ولا يحتاج القول به إلى إسهاب فى الأدلة والأسانيد ، إلا إذا كان إثبات الأدلة والأسانيد من قبيل الإحصاء والتقرير

لكن الحقيقة التى نقررها نحن هى شىء آخر غير هذه الحقيقة ، وهى أن الغريزة لها شأن فى تكوين الأسرة ، وأن المجتمع لا ينزع الغرائز نزعاً حين يتولى تنظيمها وتوجيهها إلى وجهاتها الكثيرة ، وليس إثبات الآداب الاجتماعية بمنكر للغريزة ولا بمبطل لعملها فى نشأة الأسرة ولا فى نشأة الاجتماع نفسه وما يتفرع عليه من الآداب والقوانين

وقد يخالف المجتمع الغريزة فى وجهته وغرضه ، فلا يكون ذلك دليلا على أن المجتمع وحده هو الموجود وأن وجهته وحدها هى المحسوبة ، وإنما يكون دليلا على وجود شيئين مختلفين ، وأنهما على اختلافهما أو اتفاقهما لا يعملان منفردين .

فإذا ناقشنا الأستاذ على عبد الواحد فى أمر الأسرة والغريزة فليس سبيله فى مناقشتنا أن يثبت لنا وجود المجتمع وآدابه ، فإن هذه الحقيقة فى غنى عن الإثبات ، ولا حاجة بأحد من علماء الاجتماع إلى إثبات وجود الاجتماع ، وإنما سبيله أن يورد لنا الأدلة التى تمنع وجود الغريزة أو ظهور أثرها فى نشأة الأسرة ، وليس لعلماء الاجتماع دليل على ذلك فيما أوردوه أو استخلصوه من المشاهدة والإحصاء

فلا ريب أن حاجة الطفل الإنسانى إلى الحضانة الطويلة لم يكن عملا من أعمال الاجتماع ، ولكنه عمل من أعمال الغريزة التى لا تختلف هنا أو هناك باختلاف قوانين الاجتماع

ولا ريب أن العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة تتوقف على الغريزة ولا تتوقف على آداب الاجتماع ؛ فإن عطف الأب والأم على ولدها أشد فى كل مجتمع من عطف الولد على أبيه وأمه ،

ولو لم تكن غريزة حفظ النوع هي الغريزة الغالبة في إنشاء هذه العلاقات لكان حب البنين للآباء كحب الآباء للبنين ، بل لوجب أن يختلف الأمر اطراداً إذا كان مرجع الأمر كله إلى آداب الاجتماع ، لأن حاجة الأبناء إلى الآباء من الوجهة الاجتماعية أكبر من حاجة الآباء إلى أبناء

ولا يقال في هذا الصدد إن بعض الآباء قساة وبعض الأبناء رحماء ، فإن الغريزة الحيوانية أو الإنسانية لا تستلزم المساواة بين جميع الأفراد ولا تمنع الشذوذ في بعض الأحوال

وقد وجدت الصلة بين الأم وذريتها ، حيث لا يوجد شيء قط غير قوة الغريزة في أحوال الفرد أو في أحوال الجماعة ، فوجدت هذه الصلة في الحشرات والهوام وتتابع الارتقاء فيها على حسب الارتقاء في نمو الغريزة لا حسب الارتقاء في آداب الاجتماع

وجاء في كتاب الحشرات الاجتماعية للأستاذ وليام هوبلر أستاذ علم الحشرات بجامعة هارفارد : « إنه قد حدث على التحقيق تطور طويل الأمد في أدوار عدة تزداد بها الصلة بين الأم وذريتها منذ الدور الأول الذي يخلو من كل اكتراث بالذرية إلى الدور الذي يتم فيه التعاون المتبادل بين الفريقين ، ونستطيع أن نرتب سلسلة هذه الأطوار على ما يأتي دون أن نتوقف لإيراد الشواهد التي سيمر بك الكثير منها . فهي على هذا الترتيب :

أولا : تبذر الأم بويضاتها في البيئة التي يعيش فيها أبناء نوعها ، وقد تبذر البويضات في بعض الأحوال إلى جانب المادة الغذائية التي تأكل منها بعد فقسها

ثانياً : تضع الأم بويضاتها على جزء من البيئة كأوراق الشجر التي تصبح غذاء للديدان المفقوسة

ثالثاً : تزود بويضاتها بغطاء واق ، وربما اقترنت هذه الحيطة بالدورين الأول والثاني اللذين تقدما

رابعاً : تبقى الأم مع بويضاتها والديدان المفقوسة منها وتحميها

خامساً : تضع بويضاتها في حرز مصون أو مكان مهيأ لها — كالعش وما إليه — مع مؤنة من الغذاء ميسرة للديدان بعد فقسها

سادساً : تقيم مع البويضات والصغار وتتعهدها بالوقاية والتغذية

سابعاً : أما الدور السابع فلا يقتصر الأمر فيه على حماية الأم لصغارها وتغذيتها ، بل تنمو الصغار وتتعاون معها على تربية نسل آخر وتستمر الأمهات والأبناء في معيشة سنوية أو معيشة دائمة ... »

فالغريزة قد أنشأت الأسرة التعاونة بين الحشرات حيث لا عمل للاجتماع قط بمعزل عن الغرائز الحيوانية ، وقد أصبح للآداب الاجتماعية في النوع الإنساني عمل غير عمل الغرائز وما شابهها ، فجاز أن يقال في بعض العادات والمشارب إن هذا من وحي الغريزة ، وهذا من وحي الاجتماع . ولكننا إذا رجعنا بالاجتماع إلى أصوله لم نكد نعزله عن الدوافع الغريزية أو الدوافع الحيوانية البيولوجية ، لأن الاجتماع على التحقيق لم يكن من اختراع الأفراد وإنما كان من إيحاء النوع بأسره حيثما كان ، وكل ما كان « إيحاء نوعياً » ، فهو إيحاء غريزة فطرية على وجه من الوجوه

إننا نحب أن نؤكد هذه الحقيقة ، لأن إثبات الحقائق واجب لغير علة ، ولأننا في زمن خلقت فيه العلل الكثيرة لتعزيز مكان الأسرة من الطبيعة الإنسانية والفضائل الخلقية ، سواء رضي عنها دعاة المذاهب أو أغضبتهم عليها عوارض الدعاية ومراميها

والعلماء الاجتماعيون الذين درسوا نظام الأسرة وقرروا ما قرروه عن ارتباطها بالآداب الاجتماعية برآء من غرض الدعاية ومن كل غرض غير تقرير الحقيقة العلمية كما يرونها ، ولكن الحقائق العلمية قد ابتليت اليوم بمن يسخرونها عامدين أو غير عامدين في خدمة مذاهبهم الهدامة وفي طليعتها الدعوة الماركسية ، ولم يفتح الله على دماغ كارل ماركس بشيء يفهمه ويرد إليه بواعث الاجتماع ، وكل باعث من بواعث الحياة غير الاستغلال وابتزاز الأموال ، فما هو إلا أن رأى في زمانه أناساً يستخدمون أبناءهم فينتفعهم ويستعينون بهم على مصالحهم أو يرهقونهم في جمع ثروتهم حتى جزم بفساد نظام الأسرة وقيامها جميعاً على أساس الاستغلال